# دور السياق في توجيه الدلالة

# كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي أنموذجا

# The Role of Context in Guiding the Connotation; the Book of Fruits of Hearts in the Added and Attributed to al-Thaalibi as a Model

إيمان صيام*
جامعة باتنة 1(الجزائر)
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة
email: imene.siam@univ-batna.dz

دليلة مزوز
جامعة باتنة 1(الجزائر)
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة
email: dalila.mazouz@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال:14-10-2022 تاريخ القبول: 25-12-2022

**ملخص:**

جاءت هذه الدراسة لبيان أثر السياق غير اللغوي في توجيه الدلالات النصية، وكذا دوره في توجيه دلالة المنسوب والمنسوب إليه في مدونة الثعالبي الموسومة بثمار القلوب في المضاف والمنسوب. وتكمن أهمية الموضوع في كونه قد تعرض إلى قضية مهمّة وهي ظاهرة النسبة في النحو العربي، وكيف أنّ النحو قد يقف مقابلا دقيقا للسانيات النصية التي اتّخذت من الكثير من مسائله نقطة انطلاق للتحليل والدراسة. وبالاتكال على المنهج الوصفي التحليلي حاولنا التعرض إلى مجموعة من الإشكالات أهمّها: ما مفهوم السياق؟ ما أبرز تجلياته في مدونة الثعالبي؟ ما مفهوم النسبة في النحو العربي؟ إلى أي مدى ساهمت آلية السياق في إبراز العلاقات التي تحكم المنسوب والمنسوب إليه؟

**الكلمات المفتاحية:**سياق؛ نحو عربي؛ لسانيات نصية؛ منسوب؛ منسوب إليه.

**Abstract:**

The study came to show the impact of the non-linguistic context on the orientation of textual connotations, as well as its role in directing the connotation of the attributable and the attributed to it in the Al-Thaalibi blog marked with the fruits of hearts in the added and attributed. The importance of the topic lies in the fact that it has been exposed to an important issue, namely, the phenomenon of proportion in Arabic grammar, and how aGrammar stands in an accurate contrast to the linguistics of the text, which took from many of its issues a starting point in analysis and study. And by relying on the descriptive-analytical approach, we tried to address a set of problems, the most important of which are: What is the concept of context?What are

*-المؤلف المُراسل

the most prominent manifestations in the Al-Thaalibi blog? What is the meaning of ratio in Arabic grammar? To what extent has, the context mechanism contributed to highlighting the relationships governing the attributable and attributed?
**Keywords:**context; Arabic grammar; linguistics text; attributable; attributed.

**مقدمة:**

يحتلّ السياق مركز الدائرة في الأبحاث المتعلقة بلسانيات النص، وقد حظي باهتمام كبير من قبل العلماء، وذلك بعد إدراكهم أنّ المعنى لا يتحدد إلّا من خلال السياق، كما أكدوا أنّ هذا الأخير قد يكون لغويا يتحدد من خلال عناصره الذاتية، وقد يتحدد بفعل ظروف خارجة عنه ومتعلقة بمحيطه وبالحدث اللغوي.

ولأنّ قرينة السياق تمتد على مساحة واسعة تنطلق من المستويات اللّغوية المعروفة، الصوتية والصرفية والدلالية النحوية والدلالية والمعجمية لتصل إلى لبّ الدلالات على اختلاف أنماطها، ولا تقف عند هذا الحدّ، بل تتعداه لتشمل العناصر المحيطة بالحدث سواء أكانت حسية أم نفسية أم اجتماعية أم جغرافية أم تاريخية أم ثقافية، لنصل إلى أنّ السياق آلية كبرى لا يكتمل المعنى الحقيقي للألفاظ إلاّ بوجوده.

ولعلّه من الأهداف والمرامي الأساسية لهذا الموضوع هو إبراز أهمية السياق في توليد المعاني المختلفة، وفي توجيه دلالات النصوص وتحديد السياقات المتنوّعة التي تحكم علاقة المنسوب بالمنسوب إليه.

والجديد في هذه الدراسة هو أنّه كيف يقف النحو مقابلا دقيقا للسانيات النص، كل ذلك نحاول إظهاره من خلال مدونة الثعالبي (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) هذا الكتاب الذي بناه صاحبه على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء أخرى يتمثل بها. كما تعرّض فيه صاحبه إلى جلّ السياقات الممكنة والظروف والملابسات المحيطة بالخطاب. وسنقف بدورنا عند جهود الثعالبي في مدونته من جهة، وفي تناوله لظاهرة النسبة كقرينة معنوية نحوية، وفي هذا الصدد سنعمل على طرح بعض الإشكالات والإجابة عنها، من أهمّها:

- ما مفهوم السياق؟ وما أقسامه؟ وما أبرز تجلياته في مدونة الثعالبي؟
- ما مفهوم النسبة في النحو العربي؟ وإلى أي مدى ساهمت آلية السياق في إبراز علاقة المنسوب بالمنسوب إليه؟

## 1- مفهوم السياق:Context

### 1.1- في الوضع اللغوي:

ذكرت لفظة السياق بمعناها اللغوي في معجم **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، يقول[1]: سقته سياقا، ورأيته يسوق سياقا، أي ينزع نزعا، ويعني الموت، لكل شجر وإنسان وطائر، يقول **ابن منظور**: "ساق الإبل يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق، وساق إليها، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق، وساق فلان امرأته أي أعطاها مهرها، والسياق المهر"[2].

لفظة السياق في الاستعمال اللغوي تعني المتابعة والمسايرة والمجاراة والتقصي...

### 2.1- في الاصطلاح:

السياق مفهوم عام يدخل في عديد الخطابات، كما يرتبط بعديد المفاهيم والمقولات، وبالتّالي يصعب تحديد مفهوم دقيق لهذا المصطلح، كما صرّح جون لاينز بقوله: "لا يمكن إعطاء جواب بسيط على السؤال، ما هو السياق؟"[3].

والسياق في مفهومه العام،"النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظام"[4]. يقول **جون ديوي**: "السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتّفق عليها التي تتخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة للسلوك الاجتماعي واستعمال اللغة، وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة"[5].

---

[1]الخليل بن أحمد الفراهيدي، (1995م)، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج5، ط2، مكتبة الهلال، مصر، ص 190.

[2]ابن منظور، (1997م)،لسان العرب،دار صادر، بيروت، (مادة سوق).

[3]جون لاينز،(1987م)، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، (1987م)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص242.

[4]ستيفان أولمان، (1999م)، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، ص59.

[5]Jean dubois, (1999), dictionnaire de linguistique et des sciences du language, 2eme édition, la rousse, p116.

كما عرّفه محمود السعران بقوله: "هو جملة العناصر المكونة للموقف الإعلامي أو للحال الكلامية".[1]

من هذه التعريفات الاصطلاحية يتّضح أنّ مفهوم السياق مرتبط بالبيئة اللغوية، وهو مرتبط أيضا بالظروف العامة المحيطة بالخطاب، وبالتالي فهو لا يرتبط فقط بالمعاني الدلالية، بل يرتبط أيضا بالمعاني النحوية وعلاقاتها، ونموذج الثعالبي هو خير دليل على هذا الارتباط؛ لتعلق السياق بظواهر المنسوب والمنسوب إليه والعلاقات القائمة بينهما. وقبل الانتقال إلى تجليات السياق في مدونة الثعالبي لابد أولا من الإشارة إلى مفهوم النسبة عند اللغويين.

**2- مفهوم النسبة:**

**1.2- في الوضع اللغوي:**

النسب والنسبة وتعني القرابة في الآباء، كما عبّر عنها **ابن منظور** بقوله:هو واحد الأنساب...النسبة والنسب القرابة،وقيل هو في الآباء خاصة، وقيل النسبة مصدر الانتساب...النسب يكون إلى الآباء والبلدان ويكون إلى الصناعة[2].

النسبة في الوضع اللغوي تأتي بمعنى الإلحاق والقرابة والنسب إلى أصناف مختلفة إلى الأهل والصناعات والأقوام والبلدان وغيرها.

**2.2- النسبة في اصطلاح النحاة:**

يقصد بها إضافة شيء إلى آخر وربطه به، ويتكوّن من طرفين من الكلام المنسوب والمنسوب إليه[3]، والنسبة قرينة معنوية كبرى كالتخصيص،وفي أثنائها قرائن فرعية، وهذه القرينة قيد عام على الإسناد أو ما وقع في نطاقه، وهذا القيد يجعل علاقة الإسناد

[1]فوزي عيسى ورانيا فوزي عيسى، (2008م)، علم الدلالة النظرية والتطبيق، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص59.

[2]ابن منظور، لسان العرب، ص775 ، (مادة نسب).

[3]مصطفى جمال الدين، (1405ه)، البحث النحوي عند الأصوليين، ط3، دار الهجرة، إيران، ص 173.

نسبة، فإذا كان التخصيص تضييقا فالنسبة إلحاق، وهذا ما يفرق النسبة عن التخصيص[1].

وفي سياق الحديث عن النسبة يتّضح أنّها تعنى بالعلاقات القائمة بين المنسوب والمنسوب إليه، كما أنّها تهتم بمدى الانسجام والملاءمة بينهما، وهو ما تعني به لسانيات النص بمفهومها الحديث، ومن هنا تظهر العلاقة بين القضايا النحوية والقضايا اللسانية، بحيث يقف النحو مقابلا دقيقا للسانيات النصية التي اتّخذت من كثير من مسائلة نقطة انطلاق في التحليل والدراسة.

**3- آلية السياق ودورها في انسجام نصوص الثعالبي**

للسياق دور كبير في لحمة النصوص، وكان له الأثر البارز في إبراز العلاقة بين المنسوب والمنسوب إليه، بحيث اتّخذه الثعالبي أداة طيعة للكشف عن العلاقات الكامنة بين طرفي النسبة وربطها بسياقاتها الخارجية، وفي الحقيقة إنّ هذه السياقات تبدو متشابهة لكنها مختلفة، فالسياق الاجتماعي يتعامل مع مجموعة من العلاقات الاجتماعية بين المشتركين، وسياق الحال تُعنى بكل الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب النص وتحيط به نطقا أو كتابة، ويمكن التعرّف عليه في النص القرآني من خلال علم المناسبة وسبب النزول، في حين يعنى السياق التاريخي برصد الحقائق ذات الصلة بحياة الناس[2].

وقد أثار كتاب الثعالبي الحوادث والتجارات وأصناف الأعمال والمذاهب والسير والأحاجي والأقاصيص والأمثال والحكم، ويفيدنا السياق الخارجي بأنواعه في التعرف على عادات العرب وأمثالهم وعبرهم وحكمهم وعلاقاتهم ومسمياتهم لمختلف الأشياء وغير ذلك.

[1] تمام حسان، (1994م)، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ص201.

[2] خليل خلف بشير العامري، (2010م)، السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة البصرة، كلية الآداب، المجلد 9، العدد 2، ص38.

**4- دور السياق الخارجي في توجيه الدلالات عند الثعالبي:**

ذكر الثعالبي في باب ما يضاف وينسب إليها ويستعار منها "رأس المال"[1]،وقد كانت العرب تستعير الرأس لكثير من الأشياء، تقول: رأس المال، ورأس الليل، ورأس الجبل، ورأس الزمان، ورأس القوم، ورأس الجريدة، ورأس الأمر، ورأس العقل، ورأس العصا، ورأس كذا وكذا...

ولفظة رأس ترتبط بالأشياء المادية، كما أنّ لها علاقات معنوية، رأس الليل بدايته، ورأس الجبل قمّته، ورأس القوم سيّدهم، ورأس الأمر مولاه وغيرها، وبالتّالي فكلمة رأس مرتبطة بسياقات خارجية متنوّعة، ورأس المال مصطلح مرتبط بعلم الجغرافيا، الذي يعني مجموع الأموال والعقارات والموارد والأدوات اللاّزمة لإنشاء نشاط اقتصادي معيّن، بحيث تعدّ رؤوس الأموال المحرك الأساسي لأي عمل استثماري.

يقول ابن الرومي[2]:

**كطالب ربح في سبيل مخوفة فأهلك رأس المال والحرص قد يؤدى**

ويقول الخزرجي في رأس الزمان[3]:

**قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمره جدد**

ويقول الأعشى في رأس الناس[4]:

**لما رأيت زماني كالحا سمحا قد صار فيه رؤوس الناس أذنابا.**

[1]أبو منصور الثعالبي، (1919م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ص322.

[2]عبد القاهر الجرجاني، (2000م)، دلائل الإعجاز، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، ص88.

[3]أحمد حسن مسيح، (2002م)، شرح ديوان ابن الرومي، ج1، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، ص98.

[4]ميمون بن قيس، (2012م)، ديوان الأعشى الكبير، مكتبة الآداب، مصر، ص97.

وقد ذكر بعض السلف، رأس عقل بعد الإيمان بالله مدارة الناس، وقال آخر رأس الدين، صحة اليقين، ويقول آخر: رأس المآثم الكذب، وعمود الكذب البهتان، وذكر ابن المعتز: رأس السخاء أداء الأمانة.

ويقال رأس العصا لصغير الرأس، كل هذه السياقات تُحمل على لفظ رأس، ولها دلالات مختلفة تختلف حسب السياق الذي وردت فيه، والسياق يلعب دورا مهمّا في ربط اللفظ بمعانيه وشدّة ارتباط التابع بالمتبوع كالتي بين المنسوب والمنسوب إليه.

وقد أورد الثعالبي في الباب نفسه قول العرب وقد نطق القرآن بذلك أيضا"وجه النهار"[1]، يقال بدا وجه النهار وطر شاربه، إذا ابتدأت الظلمة فيه، وكذلك من استعارات الوجه قولهم وجه الدهر، ووجه الأرض ووجه الأمر ووجه القوم ووجه التخت للثوب النفيس، وكذلك من استعارات الوجه لأبي العتاهية قوله[2]: يا عاشقا الدنيا يغرك وجهها، ومن استعارات أبي تمام في باب المعاتبة[3]: فما بال وجه الشعر أغبر قاتما.

وأحسنهم تصرّفا في استعارت الوجه **ابن المعتز** يقول[4]: إنّ العيون وجوه القلوب. ومنه فالوجه يحمل أوصافا معنوية ومادية أيضا، وقد يحمل حقيقة كما قد يحمل مجازا على سبيل التشبيه والاستعارة، فعلى سبيل الاستعارة ربط **أبو العتاهية** الوجه وهو شيء حسي بالدنيا وهي لفظ معنوي، بحيث شبّه هذه الأخيرة بالإنسان الذي له وجه في قوله: يا عاشقا الدنيا يغرك وجهها، على سبيل الاستعارة لوجود قرينة دالة على المحذوف(المشبه به). ويصطلح على هذا النوع من الاستعارات في علم البيان بالاستعارة المكنية التي يحذف فيها المشبه به لوجود ما يحل محله أو يدل عليه، ولأنّ البلاغيين يهتمّون بمدى مطابقة الكلام للموقف ومدى مطابقته لمقتضى الحال، ولأنّ الكلمة لها

[1]أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص324.

[2]أبو القاسم الزمخشري، (2008م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تح: عبد الأمير مهنا، ج1، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ص73.

[3]أبو القاسم الآمدي، (1999م)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: أحمد صقر، ط4، دار المعارف، ص 680.

[4]أبو القاسم الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج3، ص302.

قيمتها في السياق، وكما ذكر **عبد القاهر الجرجاني** أنّها تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر[1].

ومنه فصاحب الكلام يضع ما يروق له من الكلام سواء أكان حقيقيا أم مجازيا، وهو ما يدعم قضية السياق أكثر ويثبت دوره في توجيه الدلالات، فالكلام خاصية فردية نابعة من إرادة النفس التي تدير عملية الكلام بحسب الظروف والأحوال النفسية.

وأكد جون فيرث أنّ سياق الحال وحده لا يكفي، إذ لابد من ربطه بسياق المقال وذلك لأنّه قابل للتجريد، وأول ما يقوم به الباحث هو دراسة سياق الحال، ولابد في هذه الدراسة أن يبتكر الباحث نظاما يطبقه على الأحداث اللغوية، وهذا النظام يتكوّن من مجموعة من الاعتبارات التجريدية غير التركيبية اللغوية[2].

من بين هذه الاعتبارات علاقة الدال بمدلوله، وعلاقة الأسماء بمعانيها المجرّدة في مثل قول العرب (عين القلب)، وكأنّ للقلب إبصارا، يقول أبو تمام[3]:

**ولذلك قيل في الظنون جلية  صدق وفي القلوب عيون**

ولأبي فراس الحمداني في معناه[4] :

**من السلوان في عينيك آيات وآثار  أراها منك بالقلب إبصار**

العين وسيلة البصر، وهي عضو من الأعضاء الحسية، وقد استعير هذا اللفظ للدلالة على بصيرة القلب، والعين أقرب للقلب من باقي الأعضاء، وقد يستعار لفظ العين في سياقات أخرى، في مثل قولهم (عبد العين)، وهو الشخص الذي يخدمك مادامت عينك تراه فإذا زال عن عينك زال عن خدمتك، يقول **الجاحظ:** هو الذي إذا رأى

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص88.

[2] محمود السعران، (1992م)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، ص311.

[3] أبو القاسم الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ج2، ص331.

[4] أبو منصور الثعالبي، (1983م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: محمد مفيد، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص81.

صاحبه تحرك له وأراه السرعة في طاعته، فإذا غاب عن عينه خالف ذلك، يقول الشاعر:

**ومولى كعبد العين أما لقاؤه فيرضي وأما غيابه فظنون**

ومن العيون المستعارة أيضا، عين الشمس، وعين السماء، وعين الميزان، وعين المتاع، وعين النرجس، وعين المنية[1]،وبأغلبها نطقت العرب. ولكل عين من العيون معنى خاص أو عام تشير إليه، وقد تكون هذه الأوصاف والدلالات مادية أو معنوية.

ومن استعارات اللسان قول بعضهم: لكل شيء زمان، ولسان الزمان الشعر، وقول آخر: الاستطالة لسان الجهل، وقول بعضهم: لسان المشرق، وذكر بعض الفلاسفة: الخط لسان اليد، ولابن المعتز رسالة: يعز عليّ أن يكثر دون تلاقينا عدد الأيام، وتعبر عن ضمائرنا ألسن الأقلام.

وقال بعض الشعراء في وصف الميزان:

**ولقد نظرت إلى حكومة حاكم بلسانه يقضي ولا يتكلم**

ويقول آخر في وصف الشمعة:

**إذا غازلتها الصبا حركـــت لسانا من الذهب الأملس**

ويذكر بعضهم في وصف ليلة باردة:

**وقد سفر البرق عن شـــدة لسان السماء بها ناطق**

وأورد بعض الحكماء: جرح اليد يجبر، وجرح اللسان لا يبقى ولا يذر.

وفي الحديث: " وهل يكب الناس على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم".

واللسان هو الآلة التي يخرج بها الإنسان أفكاره ورغباته إلى حيز التنفيذ ويعطي لها الوجود الأسمى، وهو عضو من الأعضاء الحسية التي يستخدمها الإنسان في التكيف مع

[1]الجاحظ، الحيوان، (1965م)، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص85.

محيطه الخارجي، وهو أيضا أداة للتواصل بين الأفراد، ولعلّ لسان الحال أنطق من لسان المقال[1].

وبالتالي فارتباط اللسان بعديد السياقات الخارجية أدى إلى استنطاق الدلالات والكشف عن المعاني الحقيقية وإظهارها للمتلقي.

تقول العرب "رؤوس الشياطين" ويقع هذا الوصف على كل ما يستقبح مظهره الخارجي، يقول تعالى: ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾[2].

يقول **الجاحظ** ليس من الناس من رأى شيطانا قط على صورته، ولما كان الله قد جعل في طبائع جميع الأمم استقباح صورة الشيطان وكراهته، جرى على ألسنتهم جميعهم، ويقول أحد المفسّرين إنّ رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن، ويقول آخرون: "إنّ الشياطين في الأرض هم الحيات والثعابين"[3].

ولعلّ جميع المعاني التي أشارت إليها عبارة رؤوس الشياطين متّصلة بالسياق المقامي، وهو نوع من أنواع السياق غير اللغوي الذي يتّصل بالظروف والملابسات والعوالم والطبقات الخارجية والدلالات المحيطة بالنص، ففي قولهم رؤوس الشياطين يحيلنا ذلك إلى قوله تعالى في معنى الآية بأنّها شجرة تطلع في أصل الجحيم، وهي شجرة زقوم تشبه في مظهرها رؤوس الشياطين، وإنّما يمثل الشيء بالشيء لقرب اشتباه الممثل أحدهما بالآخر، أما السياق الثاني الذي وردت فيه اللفظة هو مقام الحية، ولأنّ العرب معروف لديهم أنّها كانت تسمي الحية شيطانا لقبحها، وفي مقام آخر قد ترد عبارة رؤوس الشياطين في الرجل الذي استقبح شكله ومنظره الخارجي. ولعلّ كل هذه الأوصاف والدلالات تقع في سياق المبالغة إذا ما أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء.

ولقد ذهب **طه عبد الرحمان** إلى أنّ القول الطبيعي مجرد عن مقامه، وتصير محامله كثيرة ولا يتعيّن واحد منها إلا بتعيين المقام، حتى إنّه يصحّ الادعاء بأنّ الأصل في

---

[1] أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص328.

[2] سورة الصافات، الآية 64- 65.

[3] أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، (مقدمة الكتاب).

القول الطبيعي أن تتعدّد معانيه إلى أن يثبت بالدليل خلاف ذلك، وإن كان الأمر كذلك وجب أن تكون صوره الممكنة متعدّدة، وألاّ ينحصر تقويمها ضمن قيمة واحدة[1].

ذكر الثعالبي قول العرب:"فرخ العقاب" وتضرب به المثل في الحزم، ولفظة فرخ تقال لصغار الطيور ولأصناف عديدة من الحيوانات، نقول فرخ الدب، وفرخ النسر، وفرخ الكلب وغيرها.

ويسمى فرخ العقاب الهيثم، وهو القول المشهور عند أهل اللغة، يقول الجاحظ إنّ العقاب تتّخذ أوكارها في عرض الجبال وفي رؤوسها، ولو تحرك الفرخ إذا طلب الطعم أقبل إليه أبواه، أو زاد في حركته شيئا من موضع الهوى من رأس الجبل إلى الحضيض، وهو يعرف مع صغره وضعفه أنّ الصواب له في ترك الحركة، وقد دلّ سياق فرخ العقاب على الثبات واللاحركة، وتقول العرب أيضا: "قاب العقاب" بمعنى مقدار مطارها في الهواء علوا وارتفاعا، و"شأو العقاب" مدى طيرانها، وهي تتغذى بالعراق وتتعشى باليمن، ويقال "عقاب الجو" في مقام الرفعة، وخوافي العقاب في السرعة[2].

كل هذه السياقات ذكرت فيها لفظة العقاب، وجميعها تعين المتلقي على الإحاطة بمعالم النص، وتحقيق الخاصية النصية عن طريق ربط النص بالأحداث المحيطة به. ومنه فمعرفة السياق الخارجي تحيلنا على التعرف إلى الأجواء العامة التي كتب في ظلها النص، وكذا ربطه بالمقامات المختلفة الثقافية والاجتماعية والنفسية ومكان النص وزمانه وغير ذلك.

وقد أشارت الدراسات اللسانية أنّ الكلمة وإن كانت هي نفسها بحروفها صامتها وصائتها في الحقول المعرفية المتعدّدة إلاّ أنّ دلالتها تختلف بحسب نوع **السياق الثقافي** الذي وردت فيه، ويمكن أن نمثل لذلك بلفظة حمار التي لها معنى مستقلّ في كل بيئة ثقافية.

فالحمار فضلا عن كونه حيوان، فهو أيضا يضرب في أمثال متفرقة من كلام العرب، كقولهم: حمار أبي هذيل، ويضرب مثلا في الأمر الصغير الذي يتكلم فيه الرجل

[1]طه عبد الرحمان، (1998م)، اللسان والميزان، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 45.

[2]أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص455،454.

وقصته أنّ أبا هذيل دخل على المأمون فاحتبسه ليأكل معه، فلما وضعت المائدة وأخذوا في الأكل قال أبو هذيل: يا أمير المؤمنين، إنّ الله لا يستحي من الحق إنّ غلامي وحماري بالباب، فقال: صدقت يا أبا هذيل، ودعا بالحاجب، فقال له: أخرج إلى غلام أبي هذيل وحماره فتقدّم بما يصلحهما، فخرج وفعل[1].

وقد وردت لفظة الحمار في قول العرب: حماري العبادي ويكون للتمثيل في الشيئين الرديئين ما أحدهما بأمثل من الآخر، وقد قيل للعبادي أي حماريك أسفل وأنذل؟ فقال: ذا ثم ذا.

وذكرت العرب حمار الحوائج ويضرب مثلا لمن يتّخذه الغير لمختلف المهن. وحمار الحوائج في مثل قولهم قواد القرية وجمل السقاية وكلب الجماعة وغيرها.

وقالت العرب أيضا: أسنان الحمار، ويضرب بها المثل في التماثل والتساوي، فمن أحاديثهم: سواسية كأسنان الحمار[2].

ومن أمثال العرب أيضا ذنب الحمار ويضرب مثلا لما يزيد ولا ينقص، فيقال: ما هو إلاّ ذنب الحمار.

وقولهم أيضا: سنة الحمار، ولأنّ العرب تقول لسنة المائة من التاريخ: سنة الحمار، وأصلها من حديث حمار عزير وموته مع صاحبه مائة عام وأحيى الله إياهما[3].

وفي كلام العرب صوف الحمار، ويضرب به المثل في العسرة والنكد، فيقال أنكد من صوف الحمار، كما يذكر صوف الكلب في القلة والعسرة، فيقال: أعسر من صوف الكلب[4].

يفسّر هذا النوع من السياقات في بيئته الثقافية المستخدم فيها، وكلمة حمار تستدعي عند إطلاقها مباشرة كائنا حيوانيا يستعمل في نقل الأغراض والحاجات، وقد

---

[1] المرجع نفسه، ص365.

[2] أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص366.

[3] المرجع نفسه، ص372.

[4] المرجع نفسه، ص373.

يستخدم وسيلة للتنقل والترحال من مكان إلى آخر. كما أنّ للفظة حمار حقول معرفية أخرى مختلفة كدلالتها على العسرة، وأحيانا التماثل، وأحيانا على الزمن، وأحيانا في سياق الحديث عن الشيء الرديء وغير ذلك.

أورد الثعالبي في باب الأرض وما يضاف إليها، قول العرب: "خبايا الأرض" وهي الزرع، يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "التمسوا الرزق في خبايا الأرض".

وتقول العرب: "شحمة الأرض" وهي الموضع المريع منها، قيل لعمر رضي الله عنه: "اتّخذوا الضياع وعمّروا أرض البصرة، ولا تنهكوا وجه الأرض، فإنّ شحمتها في وجهها"[1].

ومن أمثال العرب أيضا: "سمع الأرض وبصرها أي بين طول الأرض وعرضها[2]، ووجه ذلك أنّه في موضع لا يراه أحد ولا يسمع كلامه غير الأرض.

وفي كلام العرب أيضا: "جنة الأرض"، يقال لبغداد جنة الأرض ومجتمع الرافدين: دجلة والفرات، وواسطة الدنيا مدينة السلام وقبة الإسلام؛ لأنّها غرة البلاد ودار الخلافة، ومجمع المحاسن والطيبات، ومعدن الطرائف واللطائف، وبها أرباب النهايات في كل فنّ، وآحاد الدهر في كلّ نوع[3]، وهي كلها من أفضال الله تعالى يقول عز وجل في محكم تنزيله: ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[4]، وفي كلامهم أيضا "عرض الأرض"، ويريدون به الطول والعرض، يقول تعالى: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾[5]، وفي كلامهم "أوتاد الأرض"، وهي الجبال، يقول تعالى: ﴿**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾[6].

وتقول العرب أيضا: "بعل الأرض" وهو المطر، و"سنام الأرض" لما ارتفع منها، ومنه فالأرض لها أوصاف حسية، كما أنّ لها دلالات معنوية، وقد نقل الثعالبي لفظة الأرض

[1] المرجع نفسه، ص509.

[2] المرجع نفسه،ص510.

[3] المرجع نفسه، ص512.

[4] سورة الحديد، الآية 21.

[5] سورة الحديد، الآية 21.

[6] سورة النبأ، الآية 133.

من قيمة تعبيرية إلى قيم تعبيرية ومقاصد دلالية أخرى. بما يساهم في انفتاح نظام اللغة العربية على معطيات الواقع الخارجة عن العناصر الداخلية للنص.

ولقد ألمح الثعالبي للسياق الخارجي في كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مبيّنا دوره في تمثيل العلاقة بين أطراف النسبة، وفي توجيه دلالات النصوص وخلق الانسجام بين عناصره الداخلية والخارجية، كما نوّه صاحب الكتاب بإدراك قيمة السياق الخارجي في الوصول إلى مختلف المعاني، بل وإنّ إعماله مبدأ ضروري في معرفة معنى الكلام، وأيضا توسيع مناحيه وتوسيع وظائف الأبنية اللغوية.

**الخاتمة:**

- لكلّ كلمة نظام لفظي خاص بها والسياق هو الذي يحدّد موقعها من ذلك النظام. وبالتّالي فهو يحمل قيمة نحوية ودلالية وله وظائف عديدة يؤديها، كما أنّه يُبرِز أنّ الكلام لا يرتبط فقط بالمعايير الذاتية، إنّما يدخل أيضا عالم المراجع الخارجية، حينها فقط تتحدّد هويته.

- الثعالبي في مدونته لم يقتصر على الدراسة الداخلية للنصوص فقط، بل تعداها إلى إبراز السياقات الخارجية والعلاقات الدلالية،ومناسبة النصوص بعضها لبعض وربطها بالظروف والبيئة المحيطة.

- غالبا ما تكون النصوص التراثية أكثر انسجاما، وقد حاول البحث تتّبع نصوص الثعالبي وتجليات السياقات المختلفة ودورها في تنويع دلالات الألفاظ بما يساهم في الإثراء الدلالي.

- يمثل السياق عاملا مهمّا في تحقيق انسجام النصوص وفك شفراتها، كما أنّ لكفاءة المتلقي دورا كبيرا في معرفة النص وأسلوبه وسياقه، وهو ما يجعله قادرا على فهم النصوص وتحليلها وإعادة بنائها انطلاقا من التراكمات المعرفية.

- اهتم الثعالبي بقرينة النسبة والسياقات المختلفة التي تحكم علاقة المنسوب بالمنسوب إليه، بحيث ركز على جميع الجوانب المحيطة بعملية الخطاب، محاولا إبراز أنّ السياق جزء من العملية الكلامية.

- بنى الثعالبي كتابه على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء أخرى يتمثل بها، ويكثر في النثر والنظم وعلى ألسنة العامة والخاصة استعمالها كقولهم رأس المال، ووجه النهار، وعين القلب ...إلخ.

- السياق قد يتحدّد من خلال عناصره الداخلية، كما أنّه قد يرتبط بظروف أخرى خارج حدوده اللغوية، وفي علاقة المنسوب بالمنسوب إليه قد تنحرف الدلالة من سياقها الداخلي إلى السياقات الخارجية، كالظروف النفسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية والدينية وغيرها.

- الثعالبي خالف الترتيب المعياري للدلالات، بحيث يورد الإراءة مع توفير الأدلة العامة والإشارة إلى مشيراتها، أو التوجيه لها، ثم بعد ذلك يتّجه إلى تفصيل هذه الإراءة من حيث النوع والكيفية، وكذا شرح الهيئة التي كانت عليها، وفي كل ذلك يربطها بسياقاتها المختلفة ليحدد دلالاتها العميقة.

**قائمة المصادر والمراجع:**

**القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**


1. ابن منظور، (1997م)، لسان العرب،دار صادر، بيروت.
2. أبو القاسم الآمدي، (1999م)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: أحمد صقر، ط4، دار المعارف.
3. أبو القاسم الزمخشري، (2008م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تح: عبد الأمير مهنا، ج1، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت.
4. أبو منصور الثعالبي، (1919م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.
5. أبو منصور الثعالبي، (1983م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: محمد مفيد، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. أحمد حسن مسيح، (2002م)، شرح ديوان ابن الرومي، ج1، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت.
7. تمام حسان، (1994م)، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب.

8. الجاحظ، الحيوان، (1965م)، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
9. جون لاينز،(1987م)، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، (1987م)، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
10. الخليل بن أحمد الفراهيدي، (1995م)، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج5، ط2، مكتبة الهلال، مصر.
11. خليل خلف بشير العامري، (2010م)، السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة البصرة، كلية الآداب، المجلد 9، العدد 2.
12. ستيفان أولمان، (1999م)، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب.
13. طه عبد الرحمان، (1998م)، اللسان والميزان، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
14. عبد القاهر الجرجاني، (2000م)، دلائل الإعجاز، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت.
15. فوزي عيسى ورانيا فوزي عيسى، (2008م)، علم الدلالة النظرية والتطبيق، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
16. محمود السعران، (1992م)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت.
17. مصطفى جمال الدين، (1405ه)، البحث النحوي عند الأصوليين، ط3، دار الهجرة، إيران.
18. ميمون بن قيس، (2012م)، ديوان الأعشى الكبير، مكتبة الآداب، مصر.
19. Jean dubois, (1999), dictionnaire de linguistique et des sciences du language, 2eme édition, la rousse.